



قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكي بك

مدير مطبعة الكلبيا.

كان يجب ألا يموتوا ، وجاء موتهم عقب حقنهم بالدواء .
ألا ما أشد ما اشتغل إرليش ليفسر هذه الأحداث إلا
ما أشد ما قساعلى نفسه ونخل من جسمه ليتجنب هذه الازراء ،
فما كان إرليش بالرجل الجامد الذى لا تهزه مصائب الخلق
ولا تؤلمه آلام الناس ، فأجرى التجارب العديدة ، وكتب
الكتب الكثيرة يستفسر عن تلك الرزايا كيف وقعت ،
وعن المحاقن كيف ضربت ، وكان يجلس فى الأسماء يلعب
الورق وحده ، فيغلبه الفكر فى تلك الحوادث ، فيأخذ
يكتب على هوامش الورقات ما يعن له من تفسيرات ، أو هو
يكتبها على ظاهر مجلات قصصية تحكى عن فظائع وجرائم
بوليسية كان يفزع دائماً الى قراءتها ظناً منه أن فيها دون سواها
راحة البال المكثود ورياضة النفس المريضة ، ولكنه
ما استروح قط ولا استراض ، وكيف يفعل وهذه البلايا
تفتق أثره فذهب بالذى كسه من مجد عظيم .
وزادت أسارير جبينه تعضياً ، وازدادت تعمقاً ، واسود
ما تحت عينيه الزرقاوين ، وبقيت فيهما بقية ما فثت ترقص
من تلك الفكاهة الهادئة المستحية .

فهذا المركب رقم ٦٠٦ نجى آلافا من الموت ، ونجى آلافا
من الجنون ، وخلص آلافا آخرين بما هو شر من الموت : من
نطيفة المجتمع إياهم لما ضرب المكروب فى أجسامهم ضرباً ،
وأكل منها أكلا ، حتى صارت مناظرهم فى العين قدى وفى
الأنف نوتعاً . ولكنه بعد نتجته المرضى بهذه الآلاف
أخذ يقتل منهم بالعشرات ، وأخذ إرليش ينهك جسمه الناحل
أو ما تبقى له من جسم ، حتى أصبح خيالاً ، وذلك ليفسر أحجية
عز على الحكاء تفسيرها . ولقد مضى الآن على آخر سيجارة
دخنها إرليش عشر سنوات ، والاحجية ما زالت أحجية .
فترى من هذا أن النجاح العظيم الذى كسه إرليش كان أكبر
حجة على بطلان نظرياته . قال : وان المركب رقم ٦٠٦ يتحد

ظل يغدو ويروح بين عماله فى هذا البيت فلا يستقر به
مكان ، وظل يشرف فيهم على تركيب مركبات جديدة وجاء
أن تكون أكثر إبداعاً من المركب الذى كان ، ودار فى كل
حجرة وساز إلى كل ركن فلم يستطع أحد حتى قدرت أن
يتبع أثره . وأملى كاتبته الآنسة مرثا مركرت Martha
Marquardt مئات من الكتب اتسعت لكثير من حماسه
وحرارته ، وقرأ آلافا من الكتب جاءت من كل ركن من
أركان الأرض ، واحتفظ بتقرير دقيق عن كل حالة بل عن
كل جرعة من الجرعات الخمس والستين ألفاً من السلفرسان
التي حقنها الحاقنون فى بقاع الدنيا فى عام ١٩١٠ . وكان
احتفاظها بها على مثال هذا النظام الغريب الذى تاصل فى هذا
الرجل : كتبها جميعاً على صحيفة ورق كبيرة دبسها فى باطن باب
القمطر الذى كان فى مكتبه ، وغطت الصحيفة باطن هذا الباب
من أعلاه إلى أسفله فكان كلما طلب شيئاً فى أسفل الصحيفة
تقاصر وتقرص ، وكلما طلب شيئاً فى أعلاها تطاول على
أصابع رجله وتمدد ، وكان فى كلتا الحالتين يركز بصره تركيزاً ،
ويعمله إعمالاً ليقرأ سطورها وهى خطوط دقيقة مهمة معماة .
وتزايدت التقارير فجاءت بأبناء عن حوادث للشفاء غريبة
بديعة حيية لتذقراءتها ، ولكنها تضمنت كذلك أبناء مسيئة
متجهمة تتحدث عن فواقوقه ثم تصلب فى الأرجل وتشنج فى
الجسم يعقبه الموت . وجاءت الأبناء الفينة بعد الفينة بموت مرضى

لتحركات أشلاؤه في قبره سروراً واغتراباً . فإن كان في المكروب ما لا يقتله ، فهو على الأقل يتحد من نشاطه ويقلم من أظفاره فيجعله أنيساً ماموناً . على أن حكاية هذا العقار لم تختتم بعد فلندع للأيام ختامها

وإني لوائق وثوقى بطلوع الغد بأن المستقبل كفيل بمخلق صادة للمكروب غير من ذكرنا يطلعون على الناس برصاصات غير ما وصفنا ، ستكون أكثر سلاماً على الانسان وأشد حرباً على المكروب وأفتك بكل جرثوم خبيث شديد المراس حكينا حكايته في هذه القصة فلندكر إرليش بأنه فاتح هذا الباب وأول سالك لهذه الطريق

وقبل أن أختم هذه القصة أجد في صدرى سرا لا بد من فضحه قبل الختام : ذلك أنى أحب صادة المكروب هؤلاء ، من لوفن هوك إلى إرليش ، ليس على الأخص للكشوفات التي كشفوا ، ولا للنعمة الجليلة التي بها على البشرية أنعموا ، ولكنى أحبهم على الأكثر لأنهم رجال أى رجال ، أحبهم لرجولة جميلة فيهم سأظل أذكرها لكل لخل منهم ما استطاعت ذا كرتى وعيا ولهذا الرجولة الجميلة أحببت إرليش . كان إرليش رجلاً مغراماً بمراحا يحمل أوسمته معه في صندوق أخلاطاً أملاطاً لا يدري في أى المحافل والمآدب بأيا يردان . وكان رجلاً قليل التؤدة فزاعاً يحظر له الخطر فيفزع لجأه إليه وينسى ما هو فيه . جاءه رجل من إخوانه بحاث المكروب ليخرج به العشية على شراب ، وكان إرليش في بيته في حجرة نومه يلبس ويتبأ للخروج ، فاعلم بمقدمه حتى خرج في قبصه يحيه وكان رجلاً صموتاً معتكفاً . قال له بعض عباده يشير

إلى المركب رقم ٦٠٦ : إنه عمل رائع من خلق عقل جبار . إنه كشف من كشوفات العلم الرائعة ، فقال له إرليش معيداً : عمل رائع من خلق عقل جبار ، وكشف رائع من كشوفات العلم ؟ لا يازميلي العزيز ، بل هي قلته واحدة من فلتات الحظ جاءتني بعد سنوات لم أعرف فيها إلا إلى الخيبة سيلاً ، أحمد ذكى

(استدراك) ذكرنا في مقال ٢٤ مايو ان في بعض القرى الأوروبية يقوم القائم بأعمال البريد بأعمال أخرى كالصيدلة أو البقالة ونحوها . وقد نبي لنا أن بعض اخواننا من الصيدلة استاء من الجمع بين الصيدلة والبقالة في هذا الصنف البيض . وما قصدنا بالطبع تحقيراً للصيدلة وإنما تقريراً للواقع . فالصيدل هناك في أطراف البلاد قد يقوم بأعمال البريد وبيع السكولانة والحلوى وبكل عمل يستطعمه ما دام يملأ به وقته ويؤدى به إلى مكسب شريف . فالأخبارات التي أسأت إلى احساس اخواننا وقلقتهم لا وجود لها هناك . وقد دعا رعى الإنيا . الخراف وباعوا البقول وغير البقول في الأسواق أحمد ذكى

اتحاداً كيميائياً بالمكروب فيقتله ، وهو لا يتحد مع الجسم فهو لا يتاله بسوء . هذه نظرية من نظرياته فأين هي عما جرى ؟ إن المركب رقم ٦٠٦ مركب ذو كيمياء معروفة ، ولكن تفاعله مع الجسم تفاعل خاف مجهول ، وأخفى منه كيمياء هذا الجسم الإنساني العجيب ، هذه المسكنة الحية الغريبة ، هذا الطلسم الذى لا نفهم إلى اليوم منه وآسفاً كثيراً . ولقد أخطأ إرليش ونال عاقبة خطاه ، لأنه لم يدرك إلا بعد فوات الأوان أن رصاصته المسحورة يطلقها آلاف المرات فتصيب غايتها من المكروب آلاف المرات ، ولكنها قد تطيش أحياناً فتصيب غير غايتها فتقتل العدو والصديق . على أنه لا تريب اليوم عليه ولا ملامة ، فإن يكن أردى العشرات فقد رد الصحة والسلامة على الألوف . وصادة المكروب العظام ماذا كانوا سوى سيادة مقامرين ، إذن فلندكر إرليش بالحمد ، ولندكره بشجاعته وجرأته ومخاطرته ، ولندكره بما دفع من البؤس عن ألوف كثيرين

ولندكر بأنه أنار سيلاً جديدة سيسلكها صادة المكروب لاحالة من بعده يبحثون فيها مثله عن رصاص جديد يطلقونه على مكروب جديد

وليس هذا بالأمل البعيد أو الأمانة الخائبة . فقد بدت فعلاً تباشير ما نرجوه من بعد إرليش . فان قوماً بجائنا من غير ذوى النباهة وذائعى الصيت قاموا في مصانع الأصباغ بمدينة البرفلد Elberfeld^(١) يترسمون خطى الأستاذ الأكب ، وبعضهم من أعوانه الأقدمين ، فكندوا وكدحوا كما كانوا في خدمته يكدون ويكدحون ، حتى وقعوا على عقار جديد غريب أبدعوه إبداعاً . وقد احتفظوا بسر تركيبه ، وأسماه Bayer 205 ، وهو مسحوق عادى المظهر لا يهولك منه شيء ، ولكنه يشنى من مرض النوم الذى ينتهى دائماً بالموت في بلاد روديسيا Rhodesia وبلاد نياسا Niassland بأفريقيا . وإن كنت لا تزال تذكر فهو الداء الذى كلفه الرجل الجليل ديفيد بروس David Bruce آخر كفاح في حياته ، وارتد عنه مغلوباً . فهذا العقار يفعل في خلايا الجسم وسوائله أفعالاً لو سمعتها لحسبتها خرفاً أو خيالاً . ولكن أحسن ما فى الحسن منها أنه يقتل المكروب قتلاً ، وأنه يقتله قتلاً دقيقاً جميلاً كاملاً شاملاً لو سمع به إرليش

(١) ستان نى ختام القصة على ختام لما بلغ المترجم يحكى ما جرى بعدما إلى الآن